Issue 6599 Monday 2/3/2020
الزمان – السنة الثانية والعشرون العدد 6599 الاثنين 7 من رجب 1441 هـ 2 من اذار (مارس) 2020م
Azzaman Arabic Daily Newspaper Vol/22. UK

سلم التطور الحضاري

لماذا تقدمت ماليزيا على العراق؟

محمد عبد الجبار الشبوط
لندن

في عام 1958 قامت الجمهورية العراقية وقبلها بأشهر كانت ماليزيا قد نالت استقلالها عن بريطانيافي 31 اب عام 1957. في عام 2019،اي بعد حوالي ستين سنة، حققت ماليزيا ما لم يستطع العراق تحقيقه، كما يبين الجدول أعلاه. لماذا؟ اين يكمن السبب؟ بل ان يكمن الخطأفي الفشل العراقي، وأين يكمن الصواب في النجاح الماليزي.

نطرح هذا السؤال مع علمنا بأمرين وهما:

اولا، ان حجم الانجاز الماليزي ليس في الدرجة الاولى عالميا. فكما توضح الارقام الواردة في الجدول المرفق مع هذا المقال فان هناك دولاعديدة سبقت وتفوقت على ماليزيا في سلم النجاح.

ثانيا، ان ماليزيا مثلها مثل العديد من الدول الاخرى تشهد وتعاني من قضايا فساد معروفة وكبيرة. لكن هذا لا يمنع من النظر في اسباب وعوامل النجاح الماليزي.

ثمة حزمة من العوامل والاسباب التي قد يكون تظافرها واجتماعها هي وراء النجاح الماليزي وقد يكون غيابها من اسباب الفشل العراقي.

اليكم هذه الاسباب:

اولا، الاستقرار السياسي:

استقلت ماليزيا في عام 1957، وبعد تفاصيل ليس من مهمة هذا المقال التعرض لها، حققت استقرارا سياسيا مازال مستمرا حتى الان. فقدأقام الماليزيون دولة اتحادية ملكية انتخابية دستورية ديمقراطية برلمانية تدير شؤونها حكومة اغلبية سياسية مع وجود معارضة برلمانيةوأحزاب عابرة للمكونات العرقية والدينية.

لم تشهد ماليزيا اضطراباتٍ سياسيةً داخليةً كبيرة ولا خاضتْ حروبا خارجية، ولا انقلاباتٍ عسكريةً او ثورات شعبية، فمعَ وجود الملك المنتخبكل خمس سنوات، توالى على منصب رئيس الوزراء، حيث السلطة الفعلية، ستة رجال تداولوا السلطة بطريق سلمي سياسي ديمقراطيانتخابي سلس. وكان ابرزهم رئيس الوزراء الأسبق مهاتير الذي حكم ماليزيا حوالي 20 سنة واليه تنسب نهضتها الحالية.

واتبعت ماليزيا الديمقراطية الغربية بصيغتها القريبة من الصيغة البريطانية (نموذج ويستمنستر) ، وليس الديمقراطية التوافقية، حيثيتنافس على الحكم وأصوات الناخبين تحالفان سياسيان كبيران عابران للخطوط العرقية والدينية، حيث توجد ثلاثة مكونات عرقية اساسيةهي الملاويون والصينيون والهنود، واربع ديانات هي الاسلام والمسيحية والهندوسية والبوذية.

في البداية كانت الاحزاب السياسية تعبر عن مصالح المكونات الثلاثة لكن القيادة السياسية للبلاد ممثلة برئيس الوزراء في حينها تانكو عبدالرحمن تمكنت من إقناعها بالعمل في جبهة واحدة وتم تشكيل حزب الاتحاد الذي يضم الاحزاب الرئيسية للمكونات الثلاثة وقام الاتحاد علياساس المبادئ التالية: الديمقراطية الغربية، التعاون مع الكومنويلث البريطاني، التعاون بين المكونات الثلاثة، التخطيط لتحقيق التنمية.

وبذا انفتح الطريق امام حكومة الأغلبية السياسية العابرة للخطوط العرقية والدينية.(محمد صادق اسماعيل: التجربة الماليزية، ص 26)

وطبقت ماليزيا نظام الانتخاب الفردي وليس الانتخاب بالقائمة. ويشكل القادة السياسيون الذين تعاقبوا على منصب رئيس الوزراء جزءاً من البيئة السياسية المستقرة التي هي من اسباب النهضة الماليزية. فقد كان هؤلاء رجال دولة على مستوى الوطن وليسوا رجال سلطة على مساحة مكون او حزب. ومن ابرز هؤلاء مهاتير وكان أنموذج رجل الدولةصاحب الرؤية البعيدة والفكر الثاقب. لكن ليس من الصحيح تفسير النهضة الماليزية بالعامل الفردي والشخصي، فان الفرد مهما كان فانهيعمل ضمن بيئة سياسية واجتماعية توفر له فرص النجاح او تحكم عليه بالفشل. وقد تولى مهاتير السلطة بعد اكثر من عشرين عاما مناستقلال البلاد ليجد ارضية صالحة للنهضة أرسى أسسها وقواعدها من سبقه الى تولي المنصب.

ومما يلفت النظر انه يوجد فصل في الدستور الماليزي عنوانه "التنمية الوطنية".(المادة 92).

كل هذه العوامل ساعدت على اقامة دولة مواطنين وليس دولة مكونات، وأسفرت عن ترسيخ شعور بالمشاركة السياسية الفعلية والحقيقية فيشؤون الدولة والسياسة ومكاسبها الاقتصادية.

لا يوجد ما تقدم في العراق.

فمنذ تاسيس الجمهورية في 14 تموز عام 1958 لم يعرف العراق الاستقرار السياسي الداخلي والخارجي على حد سواء.

تعاقب على حكم العراق خلال هذه الفترة 10اشخاص قتل ثلاثة منهم، واسقط الرابع بانقلاب عسكري فيما ازيح الاخر بانقلاب سياسيحزبي داخلي. وبعد عام 2003 تولى الحكم 5 اشخاص تم تعيين احدهم من قبل سلطة الاحتلال، فيما تولى الأربعة الآخرون الحكم عبرعمليات انتخابية عسيرة جدا، يتبرأ فيها اللاحق من السابق!

مستوى العلاقات

على مستوى العلاقات بين الاحزاب السياسية شهد العراق صراعات دموية بين أحزابه هي أشبه ما تكون بالحروب الأهلية بين الاحزاب. فيماكانت الحكومات تخوض حروبا ضد ابناء الشعب، وبخاصة الأكراد، وتمارس سياسات التمييز العرقي والاضطهاد الطائفي.

في هذه الاثناء زج حزب البعث، الذي حكم قرابة 35 عاما، العراق في حروبٍ خارجية ضد ايران والكويت، ونزاعات دولية استنزفت موارده وثرواته. وبعد الاطاحة بالبعث اصبح العراق ساحة مفتوحة للصراعات الخارجية الإقليمية والدولية. ودخل الارهاب ليشغل الدولة اكثر من 10 سنوات عن البناء والإعمار. وبعد سقوط نظام البعث ارتكبت الطبقة السياسية التي تولت زمام الامور اخطاء تأسيسية قاتلة ادت الى تعذر بناء دولة ناجحة. ويكفي ان نذكر ان العراق شهد واحدة من اعتى الدكتاتوريات التي عرفها التاريخ على يد صدام حسين ونظامه الشوفيني العنصريالدموي.

وبهذا صار العراق نموذجا للدولة الفاشلة التي يسودها الفساد الذي تفاقم في السنوات الاخيرة على مختلف المستويات.

ثانيا، بناء الانسان

الانسان هو العنصر الاول، بل الرئيسي في المركب الحضاري. وكل الدعوات الى النهوض الحضاري والتنمية الشاملة تستهدف الانسان فيالمقام الاول، باعتباره غاية التنمية وأداتها.فالانسان هو محور العملية الحضارية والتنموية. والتنمية الحقيقية تعني تنمية الإنسان الذي هورأس المال الحقيقي هدفا وغاية نهائية ومطلقة، وذلك في إطار توفير وإشباع جميع حاجاته المادية واللامادية، وتوفير الظروف والأجواءالمجتمعية التي تحقق له قدر من الاستمتاع بحقوقه كإنسان. واتفقت البشرية منذ عام 1990 على تعريف شامل للتنمية البشرية تم توثيقه فيتقرير الامم المتحدة الذي صدر ذلك العام بعنوان "تقرير التنمية البشرية"، وتم تعديله لاحقا في تقرير عام 1995كما يلي: "التنمية البشريةهي عملية توسيع لخيارات الناس، هذه الخيارات يمكن أن تكون مطلقة ويمكن أن تتغير بمرور الوقت، ولكن الخيارات الأساسية الثلاثة عليجميع مستويات التنمية البشرية هي أن يعيش الناس حياة مديدة وصحية، وأن يكتسبوا معرفة وأن يحصلوا على الموارد اللازمة لمستويمعيشة لائق".

غير ان التنمية البشرية لا تنتهي عند ذلك، فالخيارات الإضافية تتراوح من الحرية السياسية والاقتصادية والاجتماعية إليالتمتع بفرص الخلق والإنتاج والتمتع بالاحترام الذاتي الشخصي وبحقوق الإنسان المكفولة.. وبالتالي فحياة الفرد لم تعد تقتصر فقط عليالعيش الكريم والتمتع بالصحة الجيدة والحصول على مسكن لائق بل يتعداها إلى مجموعة من الحقوق المتعلقة بالنفس البشرية ومدى قدرتهاعلى التعبير عن ذاتها من جهة وتحقيقها من جهة ثانية.

وقد أدركت ماليزيا هذا الامر فتوجهت منذ الايام الاولى للاستقلال الى تركيز جهودها على الانسان الماليزي من اجل تثقيفه بالقيم الحضاريةوإعداده ليكون عنصرا فاعلا ومشاركا في عملية التنمية. وسعت الى تحقيق ذلك من خلال عدة ادوات كان وما زال التعليم على راسها، وكانتنقطة الانطلاق في عام 1956حيث تم تشميل لجنة متخصصة لوضع نظام وطني للتعليم، تنسجم مخرجاته مع متطلبات التنمية وتربيالنشئ الجديد على القيم الحضارية والإسلامية التي تدفع بعجلة التنمية، وجرى التاكيد على على ضرورة التمسك بالقيم الاخلاقية والعدالةالاجتماعية والمساواة الاقتصادية مع العمل على توفير وسائل تحصيل العلم في مختلف المراحل. واولت الدولةُ العملية التربوية والتعليمية اهتماما فائقا تجلى ماديا بحصة التعليم في الموازنة العامة حيث استحوذ التعليم على 20–25 بالمئة من الموازنة وهو ما يشكل ثلاثة اضعاف مايتفق على الجيش والدفاع. العلم هو العنصر الرابع في المركب الحضاري وهو من مستلزمات بناء الدولة الحضارية الحديثة وهذا ما سارتعليه ماليزيا منذ الاستقلال. والاهم من ذلك ان السياسة التعليمية الماليزية كانت امتدادا وتجسيدا لرؤيتها الشاملة للنهضة الحضارية والتنمية البشرية.في المقابل معروف ما جرى للتعليم في العراق في الستين سنة الاخيرة وبالأخص منها سنوات حكم البعث عن جرى تسييس بل تبعيثالعملية التربوية وربطها بفكر حزب البعث حول القائد الضرورة وعبادة الشخصية والحزب القائد والنظرة الشوفينية العنصرية للتاريخوالحياة. وبعد عام 2003اهملت العملية التربوية وألحقت بنظام المحاصصة مع قلة التخصيصات المالية وغياب النظرة الحضارية الوطنيةللعملية التربوية.

ومنذ اكثر من 10سنوات ركزت على ضرورة وجود نظام تربوي حضاري حديث يكون اساسا لبناء دولة حضارية حديثة في العراق، ولكندون جدوى.

ثالثا، الاسلام الحضاري

سجل الاسلام حضورا متميزا في بلدان العالم الاسلامي منذ سقوط الدولة العثمانية في الربع الاول من القرن الماضي. وقد تميز هذاالحضور بتمظهرات مختلفة تراوحت من التنكر للدين تحت ستار العلمانية (تركيا الاتاتوركية) او جعل الاسلام مسوغا لقيام الدولة (انفصالباكستان عن الهند) او استخدام الدين من قبل النظام العلماني لاغراض سياسية تشمل محاربة الاحزاب السياسية الاسلامية والمؤسساتالدينية التقليدية (نظام البعث في العراق) ..

وكان على ماليزيا ان تحل مسالة علاقة الدولة بالدين بشكل يساعد على دفع عجلة التنمية الى امام وجعل الدين احد محفزات النهضة.يشكل المسلمون ما نسبته حوالي 60 بالمئة من مجموع السكان. ويكاد يكون كل المسلمين من الملاويين، واللافت للنظر ان الدستور الماليزي يعرفالانسان الملاوي بانه "شخص يقر بالإسلام دينا و يتكلم اللغة الملايوية ويلتزم بالأعراف الملايوية" (المادة 160). وهذا ما يجعل من الملايوية قومية قائمة على اساس الدين. "وهذا يعني تداخلا بين ما هو ديني وما هو قومي، بحيث حملت قومية الملايو صفة دينية فكان الاسلامعنصرا حاسما في تحديد هويتهم".(التجربة الماليزية، ص 39).

مسالة معقدة

وتمثل المقاربة الماليزية لهذه المسالة المعقدة بمحورين، مثل المحور الاول ما لم تقم به الدولة، والمحور الثاني ما قامت به الدولة.

فاما على صعيد المحور الاول فان الدولة لم تتحرك في مجالين: الاول مجال تبني اقامة دولة اسلامية على غرار باكستان، والثاني عدم اتخاذموقف علماني نافي للدين كما فعلت تركيا الاتاتوركية. وبالتالي تجنبت ماليزيا التوتر مع مواطنيها المسلمين، والقوى او المؤسسات الدينية فيالبلاد.

واما على المستوى الثاني فقد قامت الدولة باربعة امور هي:

اولا، ضمان موقع واضح للاسلام في الدستور.

ثانيا، تبني سياسة علمانية معتدلة.

ثالثا، احترام الاديان الاخرى.

رابعا، وهو الاهم: توظيف القيم الحضارية في الدين الاسلامي لصالح مشروع التنمية الامر الذي شكل عامل دفع ايجابي لحركة النهضة والتنمية وتفاعل الشعب مع خططها الحكومية. ولهذا صح ان نعتبر التجربة الماليزية انموذجا اسلاميا قابلا للاحتذاء والمحاكاة. وهذه مقاربة عملية وواقعية. فمن الصحيح ان يجري توظيف كل قدرات المجتمع في مشروع التنمية، واذا كان الاسلام بما يملكه من طاقةعلى التحريك هو احدى هذه القدرات المجتمعية فلماذا لا يجري توظيفه لصالح مشروع التنمية؟!

والحقيقة ان هذا المقترب التنموي (واعني به توظيف القيم الاسلامية العليا في مشروع النهوض والتنمية) سبق ان نادى به السيد محمد باقرالصدر وهو يتحدث، في مقدمة الطبعة الثانية لكتاب اقتصادنا، عن المركب الحضاري المنسجم مع نفسية الامة وضرورته لنجاح خططالتنمية في بلدان العالم الاسلامي.

وبذا تميز مقترب "الاسلام الحضاري" عن المقتربين الاخرين واعني بهما: "الاسلام الديني" و"الاسلام السياسي".

في العراق اختلف التعاطي مع المسالة الدينية سواء من قبل الدولة او الاحزاب السياسية او الاحزاب الاسلامية.

فاما الدولة فقد كان موقفها على العموم سلبيا من الدين، وبلغت السلبية العدائية ذروتها مع صعود النظام البعثي العلماني الذي لم يتوانَ عنمحاربة الدين واستغلاله في نفس الوقت.

واما الاحزاب السياسية فقد كان موقفها وما زال سلبيا من الدين تحت ستار العلمانية.

في حين اتجه الاسلاميون بقوة الى الاسلام الديني اوالاسلام السياسي.

فاما الاسلام الديني فهو لا يعنى الا بالمسلمين، وتطبيق المعايير الدينية عليهم فهذا مؤمن وذاك غير مؤمن، وهذا ملتزم او متدين وذاك غيرملتزم وغير متدين.

واما الاسلام السياسي فهو يؤدي الى الصدام المباشر مع السلطات الحاكمة.واما المزج بين الامرين فقد ادى الى ظهور داعش ومن على شاكلتها من الحركات المتشددة والمتطرفة التي تستسهل قتل الانسان. وكان نتيجة هذه السياسات المتضاربة حصول الصدام المزمن بين الاسلاميين وغيرهم. لكن الاسلام الحضاري يعنى بشكل اساسي بالتصدي للتخلف ومعالجة الخلل الحاد في المركب الحضاري للمجتمع، وتحقيق التنميةالشاملة مستفيدا من كل الامكانيات المتوفرة بما في ذلك ايمان الناس الاجمالي بالاسلام، وجعله قوة محركة ودافعة في مشروع التنمية.

ولعلي لا ابالغ اذا قلت ان محمد باقر الصدر وحده رفع راية الاسلام الحضاري، لكن البيئة السياسية والاجتماعية والدينية لم تكن مستعدةللاستجابة لهذا النوع من الطرح، على عكس ما حصل في ماليزيا.والمؤسف انه جرى في السنوات الاخيرة الخروج بالدين بعيدا عن مشروع التنمية ودخلت الى الممارسة الدينية ظواهر سلبية لا تمت اليالاسلام وقيمه الحضارية بصلة.

هل تمر حكومة علاوي؟

نجاح سميسم
النجف

أن مايجري هذه الأيام في الغرف المظلمة وفي دهاليز السياسة العراقية النتنة من مساومات وضغوطات على تشكيل كابينة علاوي الوزارية من قبل الكتل والأحزاب والمكونات التي تسمي نفسها عراقية وطنية وهي بعيدة كل البعد عن عراقيتها لأنها لاتبحث عن مصالح الوطن المقبل على أزمة حقيقية بقدر البحث عن مصالحها وأنانيتها المغرقة في النفعية والذاتية وتغليب مصلحة الأجنبي على مصلحة الوطن المبتلى بهم منذ عام 2003 لحد الآن٠

كيانات هزيلة

إنه لأمر مؤلم ومخجل تقوم به هذه الكيانات الهزيلة يدعو إلى وقفة جماهيرية وطنية شاملة لدعم المتظاهرين والأصطفاف معهم لكبح جماح هذه القوى المتحكمة والتي تحاول جر البلد إلى المنزلق الخطر الذي ينحدر إليه العراق نحو الهاوية السحيقة وهم لايهمهم إن ذهب البلد إلى الجحيم. أن المشكلة الأساسية سيداتي سادتي من وجهة نظري في طبيعة النظام السياسي والقوى المتحكمة من أحزاب الأسلام السياسي الشيعية، والسياسيين السنة، والأكراد الذين سيطروا على حكم العراق منذ سقوط النظام السابق وحتى كتابة هذه السطور،حيث كتبوا دستوراً مهلهلاً لمصلحة الأقليم الكردي،أقروا فيه نظاماً برلمانياً ضعيفاً يتحكم من خلاله الأكراد من علوية واضحة فهم الذين يديرون دفة الحكم فعلياً ويستمتعون بخيرات البلاد النفطية التي تدرها المحافظات الجنوبية الفقيرة التي تعاني الفقر والمرض والتخلف ليسرقوا الأغلب ويبنوا الأقليم بالمتبقي من أموال النفط إضافة إلى وارادت نفط كركوك والأقليم، فهم يشاركون المركز في كل شيئ دون أن يعطوه سنتاً واحداً ٠إن هذا الأستعراض السريع للمشهد السياسي العراقي هو بداية المدخل للموضوع الذي كتبت المقال من أجله (وهو هل سترى حكومة علاوي النور) ٠٠٠٠ أنا أشك في ذلك ولي اسبابي التي بنيت عليها شكي هذا الذي يقترب من التأكيد على أن حكومة علاوي لن يصوت عليها البرلمان امس للضغط على الكتل الشيعية التي سحبت يدها من علاوي وكذلك على السياسين السنة وأيضا على البرزاني اللذين يصران على إعطائهم حصة المكون والأستحقاق الأنتخابي حيث أكد البرزاني علناً وبدون مواربة على وزارة المالية (اللي بيها كل الخرجية) أن تكون من حصة الأكراد كما كانت في (حكومة عادل عبد المهدي الذي إنبطح لهم إنطاحاً كلياً أيام وزارته الجدلية) بالأضافة إلى وزارتين مهمتين ، علماً بأن الجميع يلعن المحاصصة ويعدها السبب الرئيسي في هزال العملية السياسية، ولكن في الواقع يؤكدون حصة المكون والأستحقاق الأنتخابي،وهذا ماتطالب به جميع الكتل والمكونات والأثنيات بدون إستثناء٠٠٠ فماذا يفعل علاوي وهو الضعيف أصلاً ولكنه يظهر القوة الزائفة كما كان يفعل خلف بن أمين حسب مرويات الدكتور علي الوردي٠

لنعود إلى الوراء قليلاً وننظر إلى الطريقة التي ترشح بها محمد علاوي إلى منصب رئيس الوزراء من قبل برهم صالح رئيس الجمهورية وليس من قبل الكتلة الكبرى (هذه الكتلة التي صارت لغزاً محيراً ،سائرون تدعي هي والفتح أو البناء تدعي هي ،والمحكمة الأتحادية حسب المزاج السياسي تؤشر على الكتلة الكبرى)٠ المهم أن محمد علاوي لم يتم ترشيحه من قبل الكتلة الأكبر ولكنه إتفاق بين سائرون والفتح هذا هو الذي حصل فبدأ السيد المكلف يعطي الوعود الوردية للشعب والمتظاهرين وبأنه لايرضخ لأي قوة بفرض أرادتها عليه في تشكيل كابينته الوزارية وبأن منهاجه سيتضمن إجراء إنتخابات مبكرة وحصر السلاح بيد الدولة ومحاسبة الفاسدين وإنقاذ العراق وتعويض العراقيين عن السنوات العجاف الماضية ، كل هذا يحصل خلال سنة أو أقل وهي فترة حكومته الأنتقالية كما إتفقوا على تسميتها٠

إن الذي حصل في الأيام القليلة الماضية هو تخلي الكل عنه عدا سائرون وعدد قليل من الفتح وتيار الحكمة ، الباقي قالوا له (باي باي علاوي) ، فهذا الذي لولا المحاصصة المقيتة لم ولن يكون بهذا المنصب المهم ابداً يطالب بأن يكون رئيس الوزراء من قبيلة أو عشيرة كبيرة وقوية ليعيدنا إلى العصور الوسطى، وهو يريد حصة إتحاد القوى من الباطن ، أما الأكراد فيريدون كما ذكرنا آنفاً وزارة المالية وإلا لايصوتون له وبقية الكتل تريد حصتها من الكعكة أيضاً لذلك ستسقط حكومة علاوي الخديجة اصلاً ولاترى النور ٠٠ مالحل إذا ٠

انتخابات مبكرة

الحل أيها السيدات والسادة أما بأجراء إنتخابات مبكرة وبقانون إنتخابي منصف يتيح للقوى والشخصيات الوطنية الوصول إلى البرلمان وتشكيل حكومة وطنية مدنية متحضرة تنقذ البلاد من هذه الشراذم التي تحكمت بهذا البلد خلال الفترة السوداء المنصرمة، أو يبرز قائد عسكري وطني مخلص ويصطف مع الشباب الثائر من المتظاهرين ليعيد الأمور إلى نصابها كما حصل في مصر ويمهد لفترة إنتقالية تتم خلالها إنتخابات حرة ونزيهة تصل بواسطتها القوى المدنية الحقيقة إلى سدة الحكم ولكن هذا بعيد المنال بسبب سيطرة الضباط الدمج على مقاليد أمور الجيش والشرطة وكذلك وجود الميليشيات المسلحة ومن ورائها الجارة أيران وأيضا عدم جدية أمريكا في حل الأزمة العراقية التي ستنفجر يوماً إذا إستمر الحال على ماهو عليه لأننا سندخل في أزمة وزارية جديدة (والجماعة ناوين ترشيح أسعد العيداني لمنصب رئيس الوزراء) فهل سيسكت المتظاهرون، أعتقد سنمر بظروف صعبة جداً، وخطيرة جداً أذا لم يتداركها عقلاء القوم ويترك المتحكمون بم صير العراق عنجهيتهم وينظروا إلى الوضع الحالي بعين الوطنية والدين إن كان لهم دين قبل أن يحترق العراق بما فيه وقانا الله شر قابل الأيام، وأخيراً أتمثل بقول والي خراسان أيام آخر الخلفاء الأمويين

أرى خَلَل الرماد وميض نار
ويوشك أن يكون لها ضُرام
فإن لم تُطفها عقلاءُ قوم
يكون وقودها جُثثٌ وهامٌ

أتمنى الخير للعراق٠

شهق الناس

أطلب كورونا ولو من الصين

ياس خضير البياتي
الامارات

تجارب العالم، متتاليات رياضية وهندسية بمنطق المنجزات والابتكارات، فهناك أمم صاعدة تتسابق مع الزمن الرقمي الذي ليس له افق محدد، وهناك أمم هابطة ومندهشة لا ترى في الزمن الا دورة حياتية تقليدية، كأنها عابرة سبيل تستجدي متطلبات حياتها في علب سردين مستوردة. بل ان تاريخ الأمم الحية تستنبط لنا حياة جديدة حتى في أصعب ازماتها، وأخطر ايامها، فتمنح البشرية صناعة امل، وهندسة جديدة للحياة. مثلما فعلت الصين اليوم وهي تتحدى أزمات أفعال البشر والطبيعة، فهناك ترامب يحاصرها بالاقتصاد لتدميرها، وإيقاف زحفها الاقتصادي العالمي، وهناك الطبيعة التي تؤزم حياتها بفيروس كورونا، وتشغلها كل يوم عن صناعة سلعة جديدة، ومنجز تكنولوجي مشاكس.ففي وقت تحارب فيه الصين فيروس(كورونا) المستجد، حشدت جيشاً من نحو 100 ألف بطة جائعة لمواجهة أسراب ضخمة من الجراد ضربت الصين مؤخرا، لكن الصيني المارد يخلق من الازمات المرضية، والفيروسات الفتاكة دروساً وتجارب لحل الازمات بطريقة مبتكرة تدهش العالم.وماقامت به من إجراءات احترازية ووقائية لا يمكن لأي بلد في العالم أن يقوم به، ولو كانت هذه الازمة في بلاد العربان بنفس قوة الوباء وانتشاره لقرأنا الفاتحة على شعوبها، ولسمعنا قصص المؤامرات من كل صوب وحدب.

لا يمر يوم من ازمة كورونا الا ونتعلم دروسا جديدة من الصين التي تشكل خمس سكان العالم، هذا البلد العملاق في كل شيء، في الإرث التاريخي والحضاري، والتنوع العرقي والثقافي، والتعداد السكاني، وفي الإنتاج الصناعي. نراقبه وهو يشق طريقه بصبر وثبات نحو التربع على قمة العالم، وسينهي نظام القطب الواحد خلال السنوات القادمة، وليس اوربا او روسيا او اليابان او غيرها. هذا البلد المارد الذي بدأت نهضته في عصر (ماو) غير خرائط الاقتصاد العالمي بجدلية العمل والإرادة والأخلاق، وصنع من القمامة مستلزمات حياتية للصيني، وساهم في تحقيق معدل نمو اقتصادي يبلغ 10بالمائة تقريباً سنوياً، وتحويل البلاد إلى رائد عالمي في مجال التكنولوجيا والتصنيع، وأول احتياطي من العملات الأجنبية في العالم، وأول معدل نمو في الناتج المحلي، وصاحب أكبر صادرات من البضائع عالميا، بعد ان كان دولة فقيرة. ليكون اقتصاد الصين الآن في المرتبة الثانية بعد الولايات المتحدة من حيث الحجم، والأكبر في حالة أخذ التجارة في الاعتبار، وهي موطن ل 6من المدن الكبرى في العالم. بل هو البلد المهووس بالأرقام القياسية وبراءة الاختراع، وموطن الذكاء الاصطناعي ابتداء من براءة الاختراع، خاصة بالبلوكتشين، وانتهاء ببناء مصانع للتطوير بمليارات الدولارات.

الصين وما أدراك ما الصين، فهي بحسب موقع BusinessInsider-أغرب بكثير مما نتخيل، حيث يصل عدد مستخدمي الإنترنت فيها مثلا إلى ما يفوق 340مليون شخص، أي أكثر من عدد سكان الوطن العربي مُجتمعاً! ليس هذا فقط، بل يبلغ عدد مستخدمي الهواتف الجوالة كذلك ما يقارب الـ 600مليون شخص. أي ضعف عدد سكان الوطن العربي مجتمعاً!،وهو العملاق المتواضع في سلوكه وسياسته الناعمة بدون تصادم مع الآخر محطات توليد طاقة شمسية، وكذلك الكهرباء من الرياح أكثر من أي دولة أخرى، حيث توجد ثلاث من أكبر خمس محطات شمسية عائمة في العالم في الصين، وبناء مركز تكنولوجي عملاق يضم 1امدينة لمنافسة وادي السيليكون الأمريكي، كما سيتم توحيد منطقة دلتا نهر اللؤلؤ، التي تضم ما يقرب من 70مليون شخص في مدينة ضخمة عملاقة تعرف باسم منطقة الخليج الأكبر. لذا يستحق ان يحتل المرتبة رقم 28 في مؤشر التنافسية العالمية الصادر عن المنتدى الاقتصادي العالمي، مسجلا مستويات مرتفعة في الاستثمار في البحث والتطوير، والبنية التحتية، وتكنولوجيا المعلومات. باختصار إذا ما دخلنا الى الأرقام الصينية التي تدور حول انجازات الصين فهي مذهلة وتسبب نوعاً من الصداع، لا أول له ولا أخر!!

انظروا لمعجزة الصين وهي تتحدى الفيروس المرضي، بفيروس الإرادة، فتنشئ مستشفى ضخماً بعشرة أيام فقط وب 1000 سرير طبي، وتصنع 53 سيارة اسعاف خلال 12 يوما مجهزة بأحدث الأجهزة الطبية الخاصة بالفيروس، وصنعت 20 مليون كمامة في اليوم الواحد كما صنفت 773 ألف كاشف حمضي، كلها من أجل عيون كورونا.

رابط الكلام، ان ازمة من هذه الازمات الشديدة لو حدثت في الكثير من بلدان العالم، ولاسيما الدول العربية، لأنتجنا ضجيجا صوتيا أكثر من الأفعال لمواجهة النكبات، واخترعنا الأكاذيب لإخفاء الحقائق، هكذا هي أزمتنا مع من يحكمنا، فلا يتعلم الدرس من الازمات، بل يعلمنا كيف نصنع الازمات من الازمة، ويطعمها بلقاحات الموتى بدل السعادة. فالعراق مثالا لتفشي الفيروسات السياسية ،لأن السياسي العراقي فيروس قاتل اخطر من كورونا ،لأنه افرز لنا فيروسات الطائفية والدم والموت والجهل ، لذلك من حقنا ان نرفع شعار اطلب كورونا ولو من الصين ،عسى ان يكون الفيروس الصيني وبالا على السياسي لخلاص العباد ،ويكون درسا بليغا في مواجهة الازمات بالعلم ،ومطرقة على الرؤوس للاستيقاظ من سبات الجهل والجاهلية، وتدمير فيروس الشماتة العنصرية التي يرفضها ديننا ،ويقول لنا لا تشمتوا بمصائب الناس حتى ولو كان أعداء لنا ،لأن الفيروس لم يعد حكرا على الكافرين بل صار لاعبا في كل ملاعب العالم، فهو لم يختر لونا ولا عرقا ولادينا ولاطائفة بعينها ،فلا شماته في بلد مثل الصين الذي صنع لنا كل شيء ،وسهل لنا العيش ،وجعل فقراء العالم في معاطفها الرخيصة ضد توحش الرأسمالية . فالصين الوطن يشبه طائر الفينيق الذي ينتفض من الرماد، فمهما حدث له سوف يعود ليأخذ مكانه المناسب في العالم، فلديه كل المؤهلات ان يكون رقما صعبا، فهو فيروس للذكاء لا يرى بالعين المجردة.

ومهما اتفقنا واختلفنا في التفاصيل والمواقف، لكنني أخشى بعد كل هذا الكلام، ان يخرج لنا شبيه عبعوب الشهير بفقاعة دبي، ويفجر لنا مفاجأة ليقول لنا (شنوا الصين ..هي فقاعة)!